الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم

الإمارات

2019-2020

مونيكا زاك

الوَلَدُ الذي عاشَ مع النَّعام

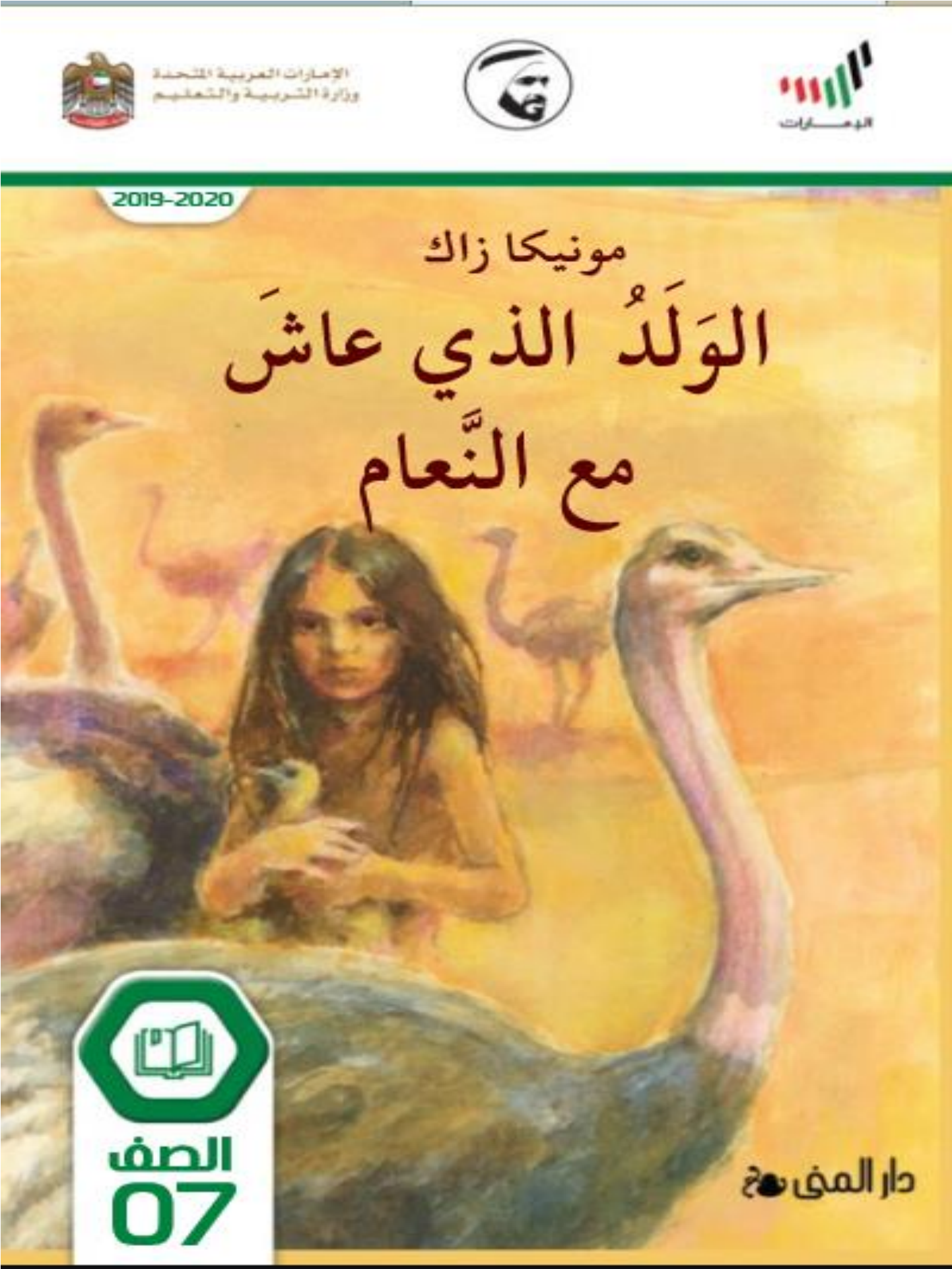

الصف 07

دار المنهج

مونيكا زاك

الوَلَدُ الّذي عاشَ مَعَ النَّعامِ

تَرجمة : راوية مرّة

دار المنى

الفصلُ الرابعُ

في مُواجَهةِ المَوتِ

انضَمّت ثلاثُ نَعاماتٍ شابّاتٍ إلى السِّربِ الذي كانَ يتألّفُ مِنَ الزّوجينِ والطِّفلِ البَشَريّ . أرادَت كُلٌّ مِنهُنّ أنْ تَبيضَ لكنّهُنّ انتظَرْنَ الوُصُولَ إلى مَكانٍ آخرَ . لَمْ يَكُنْ لأيٍّ مِنهُنّ رَغْبَةٌ بِبناءِ عُشٍّ في ذلكَ المَكانِ الذي اخْتَفى فِيهِ بَيْضُ النّعامِ تَحْتَ تَلٍّ مِنَ الرّمْلِ .

تَنقّلوا خِلالَ اللّيلِ . صَعِدَ البَدْرُ بِبُطءٍ في سَماءِ الصّحراءِ حينَ بَدأوا مَسيرَتَهُم بَحثًا عن مَكانٍ جَديدٍ يَبنونَ فِيهِ أعشاشًا جَديدةً يَبيضونَ فيها . تَمكّنَت ماكو مُجدّدًا مِن وَضعِ الصّبيِّ على ظَهرِ الذّكرِ حوج . تَمدّدَ الوَلَدُ على بَطنِه مُمسِكًا بِريشِ الجَناحينِ الغَزيرِ . ساروا في صَفٍّ مُستقيمٍ طَويلٍ . كانَ حوجٌ يَسيرُ في المُقدّمةِ حامِلاً الصّبيَّ فَوْقَ ظَهرِه وخَلْفَهُ سارَتْ ماكو . خَلْفَ حوجٍ وماكو سارَت الإناثُ الثّلاثُ الشّاباتُ .

ساروا على الحافّةِ العُليا لكَثيبٍ رَمليّ . رأوا في البَعيدِ ألسنةَ لَهيبِ نارٍ ومعَ الرّيحِ الخَفيفةِ وَصَلَت إليهم رائحةُ البَشَرِ والجِمالِ سَمِعوا أغانيَ وصَفيقَ أيدٍ مُنتَظِمِ الإيقاعِ ، دُونَ أنْ يعلمُوا ما الذي كانوا يسمعُونه . انتَشَرَ الذّعرُ بَينَهم . أسْرَعَ حوجٌ خُطاه حتّى يَبتَعِدَ عن بَنِي آدمَ . أفلَتَ

الوَلَدُ عِندَها قبضَتَيه ، وَقَعَ على الأرضِ وَراحَ يَصرُخُ .

– هذا لن يَنفَعَ أبدًا . هذا الوَلَدُ حالةٌ مَيئوسٌ مِنها . إنَّهُ لا يُحسِنُ القِيامَ بأيِّ شَيءٍ . لا يقدرُ على المَشيِ ولا على الرَّكضِ . فَرخُ نَعامٍ في هذه السِّنِّ يُجيدُ السَّيرَ ، والرَّكضَ وإيجادَ طَعامِه بِنفسِه . هذا وَلَدٌ مُتَخَلِّفٌ . لا بُدَّ أنَّهُ يعاني مِن عِلَّةٍ خَطيرةٍ .

– اصمُتِ الآن ، قالَت ماكو بِحَزم . أرقُدْ هنا .

وهكذا دَفَعَت هَدارةُ بِحنانٍ إلى ذَكَرِ النَّعامِ الرّاقِدِ وجَعلَتهُ يَتَسَلَّقُ إلى أعلى ظهرِه ويتمسَّكُ بريشِهِ بِقُوَّةٍ .

تابَعُوا مَسيرَتَهُم في صَفٍّ مُستقيمٍ . كانَ حوجَ يتذمَّرُ بلا انقطاعٍ لكنَّ ماكو لَمْ تَكترِثْ لِلأمرِ . فقد حَصَلَت على طِفلٍ جَديدٍ وكانَت مُصَمِّمَةً على الاحتفاظِ به .

عِندَما ابتعَدوا عنِ البَشَرِ والجِمالِ بما فِيهِ الكِفايةُ تَمَدَّدُوا على الرَّملِ لينامُوا .

تَمَدَّدَت ماكو فَوقَ الطِّفلِ إذ إنَّ هذا صارَ أمرًا تعَوَّدَته . صارَ لهَدارةَ تَحتَ رِيشِها النّاعِمِ سَريرٌ دافِئٌ مُريحٌ ، ولذَلِكَ استغرَقَ في النَّومِ بِسُرعَةٍ .

عِندَما استيقَظَ الجَميعُ عندَ الفجرِ حَاوَلَت ماكو أن تُعلِّمَهُ الكَلامَ بِواسِطةِ الأفكارِ .

– اسمي ماكو . أنا أمُّك ، قالَت له .

لم تَحصُلْ على جَوابٍ مِنه . هل كانَ عاجزًا عنِ الحديثِ بِواسِطةِ الأفكارِ؟ ماذا لو كانَ مُتَخَلِّفاً بِالفِعلِ؟

كانَت الإناثُ الثَّلاثُ الشّاباتُ تَزدادُ فُضوليَّةً وتَوَدُّ مَعرِفةَ المَزيدِ عن

الطِّفل . إذ إنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُشبِهُ شَيْئًا أو أحَدًا رأيْنَهُ مِن قَبلُ . كُنَّ يَتَقَدَّمنَ مِنهُ و يَتجمَّعنَ حَولَه . كُنَّ فُضوليّاتٍ كَكُلِّ طُيورِ النَّعام ، وحاوَلَت كُلٌّ مِنهُنَّ التَّعرُّفَ إليهِ عَن قُربٍ إذ تَعُضُّهُ وتقرُصُهُ بِحَذَرٍ بِمنقارِها . عَضَّتهُ إحداهُنَّ مِن أُذنِه والأخرى مِن يَدَيهِ الصَّغيرتينِ . حالما فَعَلْنَ ذلكَ كانَت شَفَةُ هَدارَةَ السُّفلى تَتَقَوَّسُ ثمَّ يباشِرُ بِالبُكاءِ . كانَت ماكو تَشْعُرُ كأنَّ بُكاءَه سِكِّينٌ يَقطَعُ في جَسَدِها لذلكَ وَبَّخَت زَوجَها والإناثَ الثَّلاثَ .

– ألا تُلاحِظون أنَّ الطِّفلَ يَخافُ؟ ممنوعٌ على أيٍّ مِنكُنَّ أن يَقرُصَه . عليكم أن تفعَلوا مِثلي فَتداعِبونَه كُلٌّ بِمنقارِه . هو يُحِبُّ ذلك .

انحَنَت ماكو فَوقَه وتَحَسَّسَت ذِراعَهُ الصَّغيرةَ المُكتَنِزةَ بِمنقارِها بِلُطفٍ . تَوَقَّفَ الطِّفلُ عنِ البُكاءِ وابتَسَمَ لها . سَوَّت بعدَ ذلكَ قَوامَها وبَدا عليها بِوُضوحٍ أنَّها كانَت راضيةً عن نَفسِها .

– هكذا سَتفعلون . ثمَّ ، أضافَت مُهدِّئةً ، إذا رأيتُ أحَدًا مِنكُم يقرُصُه أو يَعُضُّهُ فَسأُعاقِبُه بِنفسي .

تابعَ سَربُ النَّعامِ مَسيرَتهُ تارِكًا خَلْفَهُ الكُثبانَ الصَّفراءَ ودَخَلَ في مِنطقةٍ مسطَّحةٍ تمامًا ، مغطّاةٍ برملٍ رماديِّ اللَّونِ خشنِ الملمسِ وبَعضِ الأحجارِ السَّوداءِ المرميّةِ هنا وهُناك .

كان الذَّكَرُ حوجُ يسيرُ موطِّدَ العزمِ ، إذ كانَ يبحثُ عن مَكانٍ يبني فِيهِ عُشَّه الجَديدَ يتوفَّرُ فِيهِ ما يَكفي مِنَ الطَّعامِ . كانوا يَسيرون بِبُطءٍ بسَبَبِ هَدارةَ .

لكن كُلَّما حَاوَلَ حوجُ التَّذمُّر ، كانَت ماكو تُجيبُه :

– أنتَ تعلمُ قانونَ النِّعامِ جيّدًا . على السِّربِ أن يسيرَ بالسُّرعةِ التي تُناسِبُ أبطأَ عُضوٍ فيه . ألا تَرى أنّ الصَّبيَّ يَسيرُ سيرًا أفضَلَ يَومًا بعدَ يَومٍ؟ لن يَحتاجَ إلى الرُّكوبِ على ظَهرِكَ قَريبًا بل سيتمكّنُ مِنَ السَّيرِ بِنفسِه .

كانَ حوجُ يتظاهرُ بِالمُوافقةِ على رأيِ زَوجَتِه . لَكِنَّهُ كانَ قد صَمَّمَ في قَرارةِ نَفسِهِ على التَّخلُّصِ مِنَ الصَّبيِّ في أقربِ وَقتٍ مُمكِنٍ . ذلكَ الطِّفلِ البشريِّ . ذلكَ العبءِ الإضافيِّ العديمِ الفائدةِ .

سَنَحَت له فُرصةٌ مُناسِبةٌ لذلكَ بعدَ بضعةِ أيّامٍ . إذ ذَهَبَت الإناثُ لِلبحثِ عن أوراقٍ خَضراءَ صالحةٍ لِلأكلِ ومُحاوَلةِ إيجادِ غَديرٍ أو مُستنقَعٍ للشُّربِ . بقيَ حوجُ لِحراسةِ الطِّفلِ . كانَت ماكو قد طَلَبت مِنه أن يَلتقِطَ يَرَقاتٍ ويُقدِّمَها له ، لكنَّ حوجًا لَمْ يفعلْ ذلك .

تأخّرت الإناثُ وكانَت أشِعّةُ الشَّمسِ تَنصَبُّ عليهما بِقسوةٍ . كانَ يومًا مِنَ الأيّامِ الصّافيةِ جِدًّا ، وبدأتِ الصَّحراءُ تَعُجُّ بسَراباتٍ لامِعةٍ . كانَت الصَّحراءُ مِن حَولِهم مُسطّحةً ، لكنَّ الأرضَ بَدَت فَجأةً وكأنّها مُغطّاةٌ بِمياهٍ زَرقاءِ اللّونِ . لا بُدَّ أنّهُ كانَ قد تبقّت في ذِهنِ الطِّفلِ ذِكرياتٌ تَتعلّقُ بِالينابيعِ والأغادير ؛ إذ إنّهُ انتصَبَ واقِفًا حينَ رأى اللّونَ الأزرقَ اللاّمعَ . كانَ عَطِشًا لِدرجةِ أنّهُ صَعُبَ عَلَيهِ أن يبلَعَ رِيقَه . كانَ مُتشوِّقًا إلى ذلكَ الأزرقِ الفاتِحِ . وَقَفَ على ساقَيه وسارَ بِخُطًى قَصيرةٍ قَلِقةٍ باتِّجاهِها . غيرَ أنّها كانَت تَنتقِلُ مِنَ مَكانٍ إلى آخرَ طَوالَ الوَقتِ . كانَ السَّرابُ الأزرَقُ اللاّمعُ يَسبِقُه دائمًا . جَعَلَهُ العَطَشُ يُمصُّ إبهامَه .

اسْتَمَرّ بالسّيرِ بِخُطًى غَيرِ واثِقةٍ باتِّجاهِ ما كانَ يَجِبُ أن تكونَ مياهًا . بما أنّها اسْتَمَرّت بالانتقالِ كلّما أرادَ الاقترابَ مِنها ، بدأ يَركضُ حتى يلحَقَ بها بسُرْعَةٍ .

وَقفَ حوجَ في مَكانِه مُحدِّقًا .

رأى الطِّفلَ يُغادِرُ المَكانَ بِخُطًى غَيرِ واثِقةٍ .

رأى الطِّفلَ يرْكُضُ .

رأى الطِّفلَ يقعُ ويبقى مُمَدّدًا في مَكانِه على الأرضِ . لا بُدّ أنّ المَوتَ سيأتِيهِ قَريبًا . كانَ حوجُ مُقتنِعًا بذلك .

رَفَعَ الطِّفلُ نَظَرَه ورأى رَملاً رَماديّ اللّونِ وسَماءً ساخِنةً كالجَمرِ . وَضَع إبهامَه في فَمِهِ مِنَ جَديدٍ ، وَراحَ يَمُصُّ بحدّةٍ ، لكنْ من دونِ فائدةٍ . كانَ عَطَشُه يَزدادُ طَوالَ الوَقتِ . أغْمَضَ عَينَيهِ وبَقِيَ مُمَدّدًا على الأرضِ دُونَ حَرَكَةٍ . لَمْ يَعُدْ يَقوى حتّى على مصِّ إبهامِه . لذلكَ لَمْ يرَ النِّسرَ الذي وَجَدَهُ فَريسةً ، فَراحَ يدورُ مُحَلِّقًا فَوْقَه . حَلّقَ النِّسرُ وحَلّقَ فَوقَ الطِّفلِ . كانَ الطائرُ قد قَرّرَ الانتظارَ إلى ما بعدَ مَوتِ الفَريسةِ حتّى يَحُطَّ عِندَها ويُباشِرَ بالتهامِها .

رأى حوجُ الطِّفلَ مُستلقِيًا على الأرضِ بلا حَرَكَةٍ على الرِّمالِ الرّماديّةِ اللّونِ ، ورأى النِّسرَ الذي كانَ يُحلِّقُ فَوْقَه فأدارَ ظَهرَه وباشَرَ بِالرّكضِ تارِكًا المَكانَ بِخُطًى طَويلةٍ رَشيقةٍ .

شَعَرَ وكأنّ حِملاً ثقيلًا رُفِعَ عن ظَهرِه . أخيرًا سيعُودُ كُلُّ شَيءٍ إلى ما كانَ عَلَيهِ في السّابِقِ .

الفصلُ الخامسُ

الأفْعى السّامَةُ

عادَت النّعامةُ ماكو راكِضةً باتّجاهِ المَكانِ الذي تَرَكَت فِيهِ حوجًا والصّبِيّ . فَكّرت بالاسمِ الذي ستُطلِقُه عَليه . كانَت قد فَعلَت ذلكَ منذُ أنْ وجدَتِ الطِّفلَ في الرّمْلِ . فكّرَت بكَثِيرٍ مِنَ الأسماءِ ، لكنّها لَمْ تجدْ حتّى الآن اسمًا يَليقُ به .

لا بُدَّ أنّ تجدَ له اسمًا جَميلًا .

جَعلَت الأسماءَ تَتردّدُ في ذِهنِها وهي تَرْكُضُ . ماجدٌ . عثمانُ . قدري . أو رُبّما حَسَنٌ . لا بأسَ باسمِ حَسنٍ . يجبُ أنْ تَتشاوَرَ معَ حوجٍ ، إذ لا بُدَّ مِن أن يُشارِكَ في الأمرِ .

رَكَضَت بسُرعَةٍ وخِفّةٍ ، فليسَ هُناكَ حَيَوانٌ أسْرَعُ مِنها سوى الفَهدِ الصّيّادِ .

الفهدُ الصيّادُ هو أسْرَعُ الحَيواناتِ في هذه الصّحراءِ .

حاسّةُ النّظَرِ لديها جيّدةٌ أيضًا . كانَت تتلفّتُ يَمينًا ويَسارًا وهي تعدو ، وَفقًا لِعادتِها ؛ إذ إنّها لا تتوقّعُ حدوثَ مَكروهٍ الآنَ . لَيْسَ هُناكَ ثَعالبُ في الجِوارِ الآنَ . لَيسَ هُناكَ أُسودٌ ولا فُهودُ صَيّادةٌ .

الحَذَرُ لَمْ يحرِمْها مِنَ الشُّعور بِالفَرَحِ . لَمْ يَدقَّ قلبُها أسْرَعَ مِنَ عادتِه . ازدادَ توقُّها كُلَّما اقتربَت مِنَ المَكانِ الذي تَرَكَت فِيهِ حوجًا والصَّبيّ . إنها تَشْعُرُ بذاتِ الفَرَحِ الذي تَشْعُرُ به عادَةً عِندَما تقتربُ مِنَ عُشٍّ مَليءٍ بِصغارِها هي . رَكَضَت بخطواتٍ طَويلةٍ بِاتِّجاهِ الواحةِ التي ملأَتها السَّراباتُ . غيرَ أنَّها لَمْ تَكُنْ تكترِثُ لتلك السَّراباتِ التي كانَت تبدو كمُستنقعاتِ ماءٍ ضَخمةٍ لامعةٍ وَسطَ الرِّمالِ .

لَفَتَ نَظَرَها فَجْأةً نَسْرٌ مَشؤومٌ كانَ يَحومُ في حَلَقاتٍ تَضيقُ في السَّماءِ تَدريجيًّا . النُّسورُ تحومُ دائمًا بهذه الطَّريقةِ إذا كانَت تَنتظِرُ مَوتَ أحَدٍ ما .

عِندَها رأَت كُتلةً سَوداءَ على الأرضِ ، كتلةً سَوداءَ هامِدةً بلا حَرَكَةٍ .

دَبَّ الذُّعرُ في قلبِها فرَكَضَت بِسُرعَةٍ باتِّجاهِ تِلكَ الكُتلةِ .

إنَّهُ الوَلَدُ البَشَريُّ .

إنه وَلَدُها .

كانَ مُمَدَّدًا على الأرضِ ، وَجهُهُ في الرَّمْلِ ، بِلا حَرَكَةٍ . تَنَفَّسَتْ بِصُعوبةٍ ولَكَزَتهُ بِمنقارِها . دَفَعَت بِقدمِها وجعلَتهُ ينقلبُ لِيستلقيَ على ظَهرِه . داعَبَت وجهَهُ بأحدِ جناحَيها بِغايةِ اللُّطفِ .

عِندَها رأَت حَرَكَةً صَغيرةً ، بدأَت في جُفونِه التي تحرَّكَت قليلًا ، فتحَ بعدَ ذلكَ فَمَه قَليلاً وأغلَقَه ثمَّ رَفَعَ الصَّبيُّ يدَه قَليلاً ووَضَعَ إبهامَه في فَمِه .

لم تتمكَّنْ مِنَ تَذَكُّرِ البَقيَّةِ فيما بَعدُ . فلم يَبْقَ في ذِهنِها صُورٌ واضِحةٌ لذلكَ الحَدَثِ ؛ لأنَّ ذُعرَها كانَ هائلًا .

تَمدَّدَتْ على الأرضِ وتَمكَّنَتْ بعدَ حينَ بطَريقةٍ أو بأخرى مِن أن تَجعلَ

الصَّبِيّ يصعَدُ فَوْقَ ظهرِها ، وهكذا حَمَلَتهُ بحَذرٍ فائقٍ حتى لا يَقَعَ ، وسارَت به إلى النَّبعِ الذي كانَت قد وَجَدَتهُ لتوِّها . عِندَما وَصَلَت إلى النَّبعِ تَمدَّدَت على الأرضِ ودَفَعَت بِالصَّبِيّ إلى حافةِ المَاءِ . رأَته مُمَدَّدًا على بَطنِه وكأنَّهُ مَيِّتٌ ، ثمّ رأَته يَتَحَرَّكُ قَليلاً ويَزْحَفُ باتِّجاهِ المَاءِ . غَطَّسَ يديه في المياهِ ثمّ أحنى رأسَهُ تِجاهَها .

تَمَنَّت ماكو أنْ يقوَى الصَّبِيُّ على حَملِ رأسِه فَوْقَ سَطحِ المَاءِ حتى لا يَسقُطَ فيه ويغرقَ . هذا ما حَدَثَ للعديد مِنَ صِغارِها الذين أوهنَهم العَطَشُ . لكنَّ الصَّبِيّ تَمَكَّنَ مِن رَفعِ رأسِه فَوْقَ سَطحِ المَاءِ ، إذْ غَطَّسَ فَمَه فقطْ وَراحَ يَشْرَبُ . ثمّ يَشْرَبُ . ثمّ يَشْرَبُ .

ستُصبِحُ هذه الحادثةُ الذِّكرى الثانيةَ التي سَيحتفِظُ بها الطِّفْلُ في ذِهنِه . سَوفَ يَتذكَّرُ طَوالَ حياتِه تِلكَ المَرَّةَ التي أتَتَ بها أُمُّه وأيقظَته مِنَ النَّومِ بمداعَبتِها له بوساطةِ جَناحِها . الصُّورةُ التّاليةُ التي ستَحِلُّ في ذِهنِه هي صُورتُه وهو مُمَدَّدٌ على الأرضِ غارِسًا يدَيه في المَاءِ الذي راحَ يَشرَبُ منه . لَمْ يَسبِقْ له قَطُّ أن تذوَّقَ شَيْئًا بهذه اللَّذةِ وهذه العُذوبةِ .

أرسَلَت ماكو الإناثَ الشّاباتِ لِتحضِرَ حوجًا إليها . تظاهرَ بأنَّهُ لَم يَرَ الصَّبِيّ وسارَ إلى المَاءِ ليَشرَبَ لمدةِ دقائقَ متتاليةٍ . أظهرَت ماكو سُخطَها عَلَيهِ حينَ رفَعَت ريشَها ، وزأَرَت به . غادَرَ حوجٌ المَكانَ ليتفادى حَنَقَها . كانَ خائِبَ الأمَلِ بِسبَبِ نَجاةِ الصَّبِيّ . لَكِنَّهُ سيُرضي ماكو حينَ يَجِدُ مَكانًا يبني فِيهِ عُشًّا لهما ؛ عندَئذٍ ستضعُ ماكو بَيْضاتٍ جَديدةً ، وسيؤدّي هذا إلى حُصولِهما على صِغارٍ جُدُدٍ . بعدَ ذلكَ ستنسى ماكو بالطَّبعِ ذلكَ الطِّفْلَ البشريّ العديمَ الفائدةِ ، ذلكَ الكائنَ المُشوَّهَ الذي لا

يكادُ يَقوى على السَّيرِ . إنَّهُ لا يَستحِقُّ النَّجاةَ .

كانَ هُناك ، بالقُربِ مِنَ النَّبعِ ، كَثيرٌ مِنَ النباتاتِ الخَضراءِ . أكَلَت الإناثُ الشَّاباتُ مِنها بِنَهَم . جَمَعَت ماكو أمامَها القليلَ مِنَ الطَّعامِ ، لكنَّها لَم تستطعْ تناوُلَه . أرادَت أنْ تُحاوِلَ التَّحَدُّثَ إلى الصَّبيِّ مَرَّةً أُخرى . تَمَدَّدَت على الأرضِ وراحَت تتأمَّلُهُ حَيْثُ كانَ يجلسُ بالقُربِ مِنَ النَّبعِ . حاوَلَت أن تُركِّزَ ذِهنَها كُلِّيا . أرادَت أن تكونَ أفكارُها قويَّةً وواضِحةً .

قالَت : «اسمي ماكو . أنا أمُّك .»

«اسمي هَدارةُ .» قال الصَّبيُّ بِوضوحٍ .

تكلَّمَ كَما تتكلَّمُ طيورُ النَّعامِ ، إذْ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا بِفمِه ولم يَنطِقْ بأيِّ صَوتٍ ، بل أرسلَ إليها جوابَهُ بِواسِطةِ أفكارِه .

«هَدارةُ ، هَدارةُ .» ردَّدَت ماكو . إنَّهُ اسمٌ جَميلٌ . كُنْتُ سأُطلِقُ عليكَ اسمَ حَسَنٍ ، لكنَّ هَدارةَ اسمٌ أجملُ بكَثيرٍ .

بَحَثَ ذكرُ النَّعامِ حتى وَجَدَ مَكانًا جيِّدًا يبني فِيهِ عُشًّا . كانَ المَكانُ مُرتفعًا بَعْضَ الشَّيْءِ ، بينَ شُجيرتَين . تَمَدَّدَ على الأرضِ وحَفرَ الرَّمْلَ بِجَسدِه حتَّى صارَت تَحتَهُ حُفرةٌ مُستديرةٌ واسعةٌ لِلغايةِ ، وذلكَ لتضعَ فيها أُنثاهُ بيضَها . عادَ أخيرًا إلى الشَّربِ . كانَ الوَلَدُ نائمًا .

نَظَرَت ماكو بِقلَقٍ إلى الطِّفلِ الَّذي باتَت تَعرِفُ الآنَ أنَّ اسمَه هَدارةُ . كانَ هَدّارةُ نائمًا بِعُمقٍ وقد كَوَّرَ جَسدَه ، في ظِلالِ شَجرةٍ .

تَبِعَت ماكو حوجًا وقد بدَت عليها علاماتُ الحَنَقِ . قادَها حوجٌ إلى العُشِّ الذي بناه ، تَمَدَّدَ على أرضِه وصفَّقَ بِجناحَيه . نالَ العُشُّ إعجابَ ماكو .

. راحَت ماكو بعدَ ذلكَ تبيضُ في هَذِهِ الحُفْرَةِ ، صارَ عليها مِنَ الآنَ وصاعِدًا أن تبيضَ بَيْضةً كُلَّ ثلاثةِ أيّامٍ ، وأن ترقدَ طَوالَ اليَوْمِ فَوْقَ البَيضاتِ ولأشهُرٍ مُتتاليَةٍ .

كانَ القلقُ يعتريها .

ماذا سيكونُ مصيرُ هَدارةَ الآنَ وهي ترقدُ في العُشِّ؟ لَمْ يُعِنْهُ أحَدٌ سواها حتى الآنَ على إيجادِ الطّعامِ ؛ الديدانِ ، الخنافسِ ، النباتاتِ ، الجذورِ وعَقْرَبٍ ما هنا وهُناك . هل سيتمكّنُ مِنَ إيجادِ طَعامِهِ بِنفسِه؟ لا يمكِنُها الاعتمادُ على حوجٍ فيما يتعلّقُ بهذا الأمرِ ، حوجٍ الذي يُظهِرُ كَراهيَتَه تجاهَ الطِّفْلِ عَلَنًا .

كانَت تَشْعُرُ بازديادِ الفَرَحِ معَ كُلِّ بَيضةٍ تَبيضُها ، لكنَّ قلقَها على هَدارةَ الصّغيرِ كانَ يَتزايدُ أيضًا .

عِندَما كانَت ترقُدُ على البَيضاتِ في النّهارِ كانَت تجعلُ الصّبيَّ يَبقى بالقُربِ مِنَ العُشِّ . حوجُ كانَ يرقدُ فَوقَ البَيضاتِ في أثناءِ اللّيلِ . كانَت تفرِدُ عندَها جناحَيها فَوْقَ هَدارةَ لِتحميَه مِنَ البَردِ القاتِلِ .

ثلاثةُ أحداثٍ وَقَعَت وغَيَّرَت مَجرى حَياةِ هَدارةَ .

وَقَعَت الحادِثةُ الأولى في يومٍ مِنَ الأيّامِ عِندَما قامَت ماكو مِن مَكانِها كعادتِها وتَرَكَتِ البَيضاتِ لِمَصيرِها لِمُدّةٍ وَجيزةٍ . كانَ لا بدَّ لماكو مِن أنْ تَبحثَ عن بعضِ الطّعامِ الذي تسدُّ به جُوعَها . بقيَ هَدارةُ جالِسًا بالقُربِ مِنَ العُشِّ . بعدَ لحظاتٍ مِن مُغادرةِ النّعامةِ الأمِّ ظَهرَ سِربٌ كاملٌ مِنَ الثّسورِ المِصريّةِ في الجَوِّ .

تُعدُّ النُّسورُ المِصريّةُ مِنَ ألدِّ أعداءِ طُيورِ النَّعامِ ؛ لأنّها تأكُلُ بَيْضَ النَّعامِ .

بالرغمِ مِنَ أنّها تَعجَزُ عن نَقرِ ثُقبٍ في قِشرةِ بَيْضةِ النَّعامِ إلاّ أنّها قد تَوصّلَت إلى طَريقةٍ تُمكِّنُها مِنَ قَتلِ الحَياةِ المَوجودةِ داخِلَ البَيضَةِ والتهامِ مُحتوياتِها اللّذيذةِ . رأى هَدارةُ الآنَ تِلكَ الطّريقةَ دُوْنَ أنْ يستوعِبَ ما رآه .

انخفضَ نَسرٌ إلى مُحاذاةِ الأرضِ والتقَطَ حَجَرًا بِمِنقارِه ، ثمّ طارَ وحلّقَ فَوْقَ العُشِّ ثمّ رَمى الحَجَرَ . أصابَ الحَجَرُ إحدى بَيضاتِ النَّعامِ ممّا أدى إلى كَسرِها على شَكلِ فَتحةٍ مُستديرةٍ . انقَضَّ النَّسرُ على البَيضَةِ وجَلسَ فَوْقَها ثمّ راحَ يلعَقُ مُحتواها . حطّتِ النُّسورُ الأخرى ، وجلسَ الواحدُ مِنها تلوَ الآخَرِ فَوْقَ بَيضاتِ النّعامةِ مُحدِّقَةً إلى النّسرِ الذي كانَ يَتناوَلُ فَريسَتَه .

رأى هَدارةُ كُلَّ ذلكَ دُوْنَ أنْ يفهمَ ما رأى ، لَكِنّهُ رأى حينَ لَوّحَ بذراعَيه أنّ النُّسورَ طارَت بأجْنِحةٍ صافقةٍ غاضبةً .

غادَرَت النُّسورُ المِصريّةُ المَكانَ ولم تَعُدْ .

عِندَما غادَرَت ماكو عُشَّها في يومٍ آخرَ أتى أحَدُ فُهودِ الصّحراءِ النادِرةِ مُتسلِّلا . شَمّ رائحةَ البَيضاتِ اللّذيذةَ وَراحَ يضربُها بِبراثِنه ، لكن البَيضَةَ لَمْ تنكَسِرْ . حَاوَلَ الفهدُ أن يَعُضَّ على البَيضَةِ لِيَتَمَكّنَ مِنَ كَسرِها بأسنانِه لكنّ حَجمَ البَيضَةِ كانَ ضَخمًا جِدًّا . راحَ الفَهدُ عندَها يُدحرِجُ إحدى البَيضاتِ ذَهابًا وإيابًا فَوْقَ الأرضِ ، ذهابًا وإيابًا .

قامَ هَدارةُ مِنَ مَكانِه وسارَ باتِّجاهِ الفَهدِ . لَمْ يفعلْ ذلكَ لحمايةِ البَيضاتِ ، إذا أردْنا قَولَ الحَقيقةِ ، بلْ أرادَ أنْ يلعبَ معَ الفَهدِ . لكنَّ الفَهدَ غادَرَ المَكانَ مذعُورًا واخْتَفى في أبعادِ الصَّحراءِ المُسطَّحةِ بِخُطُواتٍ سَريعةٍ ناعِمةٍ ، عِندَما اقتربَ مِنه الوَلَدُ .

الحادثةُ الثالثةُ التي أدّت إلى تغييرِ مَركزِ هَدارةَ داخِلَ السِّرْبِ وقعَت بعدَما فَقَسَتِ البَيضاتُ الأولى . هذه المرحلةُ هي الأخطرُ في حياةِ صِغارِ النَّعامِ . نِصفُ الصِّغارِ يُقتلُ عادَةً بعدَ خُروجِهم مِنَ البَيضَةِ بِوقتٍ قَصيرٍ . العَدوُّ الأكبرُ لهم هو الغُرابُ . أتَتِ الغِربانُ بِكثرةٍ تجعلُها تبدو كغيمةٍ كثيفةٍ قَبْلَ أنْ تحُطَّ بالقُربِ مِنَ الصِّغارِ الّذين خَرجوا مِنَ البَيضِ حَديثًا . وَقَفَ حِينَها هَدارةُ مِنَ مَكانِه ولوّحَ بيدَيه إلى أنْ رأى الغِربانَ تُغادرُ المَكانَ . كانَ المَنْظَرُ مُضحكًا له كلّما رأى الغِربانَ ، فيما بعدَ راحَ يلوّحُ بذراعَيه ويستمتعُ برؤيتِها حينَ تطيرُ مُغادِرةً .

كانَ ذكرُ النَّعامِ حوجُ قد رأى الحوادثَ الثّلاثةَ .

في أحَدِ الأيّامِ ، حَيثُ كانَ الفَرْخُ الأخيرُ يَزْحَفُ خارجَ البَيضَةِ التي تكونُ داخلَها ، وحيثُ كانَ هَدارةُ يجلسُ بالقُربِ مِنَ العُشِّ كعادتِه ، رأى حوجُ أفعى ذاتَ قُرونٍ . كانَ هوجُ وجَميعُ الحَيواناتِ التي تعيشُ في الصَّحراءِ على علمٍ بأنّ تِلكَ الأفعى هيَ أكثرُ الأفاعي السّامّةِ خُطورةً . زَحَفَتِ الأفعى فَوقَ الرِّمالِ باتِّجاهِ هَدارةَ . كانَت تزحفُ على جَنبِها كَما تفعلُ جَميعُ الأفاعي ذاتُ القرونِ . ضَحِكَ هَدارةُ ، وَقَفَ ثمّ راحَ يسيرُ باتِّجاهِ الأفعى . كانَ يريدُ أن يمسكَ بها ليلعبَ معَها . لكنّ عِندَما اقتربَ

الوَلَدُ مِنَ الأفعى ، حفرَت لِنفسِها طَرِيقًا في الرَّملِ واختفَت . كانَت تختبئُ تَحتَ سطحِ الرِّمالِ مُباشرةً كَما تفعلُ الأفاعي الأخرى ، وعِندَما تَشعُرُ بالأمانِ ، تُبرِزُ ذيلَها مِن تحتِ التُّرابِ وتَهزُّه . بهذه الطَّرِيقةِ تجلبُ الأفعى السّحالي إليها .

رأى هَدارةُ مؤخِّرةَ الذَّيلِ التي ظَهَرَت لِلعيانِ مِن تَحتِ الرَّملِ . جلسَ على الأرضِ بِثِقلٍ وَراحَ يَزحَفُ تجاهَ ذلكَ الشَّيءِ الظَّريفِ الذي كانَ يَتَحرَّك . عِندَما وَصَلَ إليه أمْسَكَ بالذَّيلِ فظَهَرت الأفعى بأكملِها مِنَ تَحْتَ الرَّملِ . انحَنَت بعدَ ذلكَ لتجمعَ قُواها وتنقضَّ بسُرْعَةٍ على الصَّبِيِّ وتَغرُزُ أسنانَها الرقيقةَ السامّةَ في جسدِه .

شاهدَ حوجُ الحَدَث بأكملِه .

خطا خطوتَينِ سريعتَينِ تجاهَهُما وقتلَ الأفعى بِضَربةٍ واحِدةٍ مِنْ مِنقارِه . حالما تأكَّدَ مِنَ أنَّ الأفعى ماتَت حقًّا ، استَدارَ وغادَرَ المَكانَ . بَحَثَ طَويلاً حتى وَجَدَ نبتةً لها أوراقٌ سميكةٌ جدًّا .

عادَ حوجُ بعدَ ذلكَ إلى الصَّبِيِّ دُوْنَ أن يُخاطبَه ، لَكِنَّهُ وَضَعَ النبتةَ أمامَ هَدّارةَ .

وقفَ بعدَها بِجانبِ الصَّبِيِّ وشاهَدَهُ يَتَناوَلُ النَّبتةَ .